آليات بناء الاستراتيجية الخطابية من منظور تداولي

د/ جودي حمدي منصور
جامعة محمد خيضر - بسكرة.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم الاستراتيجية، وإلى الكشف عن جملة العناصر التي تتضافر فيما بينها، لغاية تجسيدها من طرف المتكلم لإنتاج الخطاب أثناء مختلف عمليات التواصل مع المتلقي، مع إبراز فعاليتها التداولية في مجال تحليل الخطاب، وما يحيط به من سياقات لغوية وغير لغوية تسهم بقدر كبير في تحديد جنس ذلك الخطاب.

Résumé:

Cette étude vise à déterminer le concept stratégique, et de détecter les éléments interdépendants qui se combinent avec l'autre, l'incarnation même de locuteur du parti pour produire un discours au cours des différentes communications avec les opérations de réception, mettant en évidence l'efficacité de la délibération dans le domaine de l'analyse du discours, et ses environs depuis un contexte linguistique et non linguistiques contribuent beaucoup pour déterminer le sexe de ce discours.

1- مفهوم الاستراتيجية: تعدّ الاستراتيجية خطة مبرمجة مسبقا لتحقيق أهداف محددة آنفا، تعتمد في إنشائها على جانبين اثنين؛ أولهما تخطيط ذهني مسبق لما ستكون عليه الخطة المتوقعة، وثانيهما تجسيد فعلي وواقعي لمعطيات ومراحل الخطة المبرمجة، حتى يتمّ التطابق بين ما هو ذهني وما هو مادي واقعي، مع العلم أن صاحب الاستراتيجية هو من يرتكز عليه الأمر كله، سواء عند التخطيط أو عند التجسيد أو عند استغلال الوسائل والإمكانات المساعدة على بلورة هذا العمل، من أجل تحقيق المقاصد والأهداف. وتعرّف الاستراتيجية على وجه العموم بأنها "طرائق محدَّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكّم بها"[1].

لهذا يركز المتكلم أثناء التواصل مع المتلقي على تبليغ مقاصده وأهدافه معتمدا طرائق تحقق ذلك، علما أن الخطاب يتنوّع بين طرفيه تبعا لتنوّع الطرائق وتغيّر السياق المحيط، وبهذا فالاستراتيجية "عمل عقلي، يبنى على افتراضات مسبقة، تتجسّد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها"[2]، وتنوّع هذه الأدوات وهذه الوسائل هو تعدّد في أوجه الاستراتيجيات المتَّبعة.

وبالنظر إلى مفهوم الاستراتيجية في الخطاب، فإن المتكلم يسعى من خلال تواصله مع المتلقي إلى استغلال الإمكانات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق مقتضيات السياق المحيط، و" يتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب، فيما يسمى باستراتيجية الخطاب، وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له، بصفة مستمرة وشعورية "[3]، خضعت لتفكير ذهني مسبق، يراعي فيه المتكلم طبيعة المتلقي وأحواله، والظروف المحيطة بهما، وطبيعة المحتوى الذي يقصده، والهدف الذي يرمي الوصول إليه من ذلك.

2- عناصر بناء استراتيجية الخطاب: إن التجسيد الفعلي والواقعي للغة أثناء الخطاب يحدّد ملامح الاستراتيجية الخطابية المتّبعة في ذلك، بما فيها مقاصد المتكلم، وفعل التأثير الذي يسعى إلى تحقيقه لدى المتلقي، كون اللغة ذات طبيعة تأثيرية داخل المجتمع وبين أفراده، لأنها تعكس أفكارهم ومشاعرهم تجاه ما يحيط بهم ماديا ومعنويا. ولغاية تحقيق هذا التأثير يسعى

المتكلم إلى بناء استراتيجية خطابية مسبقة، تراعي ظروف السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي، وتنبني هذه الاستراتيجية الخطابية على عدة عوامل وعناصر، تتداخل فيما بينها بشكل أو بآخر، وفق علاقات متشابكة ومعقدة تشكّل البنية العامة لتلك الاستراتيجية، مع مراعاة أثر الفروق بين تلك العناصر البنائية، وغلبة عنصر على آخر، لأنه كفيل بتغيّر وتنوّع استعمال الاستراتيجية الملائمة لسياق تواصلي معين. وتتمثل هذه العناصر البنائية في الآتي:

2-1- الكفاءة التداولية: ويقصد بها " الدلالة على القدرة التي يتمتع بها الناطقون للغة ما التي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل "[4]، ومفهوم الملكة عند دومنيك مانقونو هو ملكة خطابية تأتي " للدلالة على القدرة التي يجب على الفرد أن يتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطابية محددة "[5]. وتنقسم هذه الملكة الخطابية إلى قسمين هما:

أ/ ملكة لغوية: تمثل مجموع الإمكانات التي يوفرها المعجم من ألفاظ وكلمات وتراكيب تساعد المتكلم على اختيار استراتيجية خطابية معينة، وتوظيفها في سياق تواصلي محدد.

ب/ ملكة تداولية: وتعدّ " مكوّنا فاعلا ضمن تكوين الإنسان السويّ، تماما كما هي كفاءته اللغوية، بيد أن الكفاءة التداولية ليست نسقا بسيطا "[6]، بل هي النسق الذي يتعدى النسق الطبيعي إلى أنساق متعددة ومتآلفة، إذ تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات هي[7]:

1- **الملكة اللغوية:** هي قدرة مستعمل اللغة الطبيعية على الإنتاج والتأويل الصحيحين، باستعمال عبارات لغوية متنوّعة البنيات ومعقّدة جدا في سياقات تواصلية مختلفة ومتنوّعة.

2- **الملكة المنطقية:** تمثل قدرة المتكلم على اشتقاق وتوليد معارف جديدة من معارف سابقة، تبعا لقواعد استدلال منطقي استنباطي أو اجتماعي.

3- **الملكة المعرفية:** هي قدرة المتكلم على تخزين المعارف الجديدة المولَّدة من خلال استعمال اللغة، وإمكانية استحضارها في المواقف التواصلية المختلفة.

4- **الملكة الإدراكية:** هي قدرة المتكلم على إدراك محيطه وعالمه الخارجي، وتحويل هذا الإدراك إلى معارف تظهر في استعمالاته المختلفة للغة.

5- الملكة الاجتماعية: هي قدرة المتكلم على تمييز المتلقي وأحواله، من خلال استعمال عبارات لغوية منتقاة لشخص محدد في موقف تواصلي محدد، ولأهداف مسطّرة مسبقا.

إن تضافر هذه الملكات مجتمعة في إنتاج الخطاب هو ما تصنعه الملكة أو الكفاءة التداولية، من خلال استثمار المتكلم لمجموع تلك الملكات، فالملكة اللغوية لوحدها لا تكفي لعملية التواصل الملائم للموقف التبليغي، بالرغم من أنها أساسية فيه، إذ " لا يمكن الاكتفاء بهذه الملكة النحوية، ذلك أنه تضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى السياق بعينه "[8]، وهذه القواعد تعرف بقواعد التخاطب أو قوانين الخطاب. وعليه فإن الكفاءة التداولية تعدّ استثمارا ذكيا للملكة اللغوية عند المتكلم، لأنه لا يكفي أن يمتلك لغة معينة، بل يجب أن يمتلك قدرات للتحكم بها، تمكّنه من إخضاعها لمختلف المواقف التواصلية حتى يؤثر في المتلقي ويستطيع تحقيق أهدافه من التواصل.

2-2- مستويات اللغة: تعدّ اللغة الطبيعية وسيلة تواصل بين المتكلم والمتلقي، لتحقيق أهداف محددة، فتمثل بذلك الملكة اللغوية الواجب توفرها لدى المتكلم، وهي مجموع الإمكانات التي يوفرها المعجم من ألفاظ وكلمات وتراكيب لينتج المتكلم خطابه، ويستطيع المتلقي تأويله تأويلا صحيحا. إلا أن هذه الإمكانات اللغوية يجب أن تنتظم وفق آليات وعلاقات يتدخل السياق في تحديدها، لأن استعمال اللغة في موقف تواصلي ما خاضع بالضرورة لمقتضيات السياق المحيط، وهذا الاستعمال" له مرتكزات لا تتفق دائما مع المعايير الافتراضية؛ فللمتكلم من الأغراض مالا يتفق مع المحافظة على القواعد، وتلك هي الأغراض التي تدعو إلى الخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخيص في معايير الإجراء بوسائل كالنقل والحذف والزيادة ومخالفة القاعدة والتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية والتقديم والتأخير والإيماءات الجسمية والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال "[9]؛ بمعنى أن للغة نوعين من المعايير، معايير افتراضية وأخرى استعمالية. فالمعايير الافتراضية هي جملة القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية التي تخضع لها اللغة عموما، أي ما يجب أن تكون عليه اللغة. وأما المعايير الاستعمالية فتمثّل جملة الإمكانات المتوفرة للمتكلم حين الاستعمال التي تمكنه من الخروج عن المعايير الافتراضية لداع معين، يرتبط بالسياق

وبمقاصده وبطبيعة المتلقي، فالمتكلم لا يستعمل دائما لغة تنحصر في دائرة الحقيقة، وإنما يجوز له في أحيان كثيرة التحوّل عن هذه الدائرة، إلى استعمال المجاز عن قصد ودراية وإدراك بما تكون عليه الأمور، وهذا ما يجعل اللغة الطبيعية المستعملة في الخطاب خاضعة لباب ما هو كائن تبعا للاعتبارات السابقة.

وقد أشار نوام تشومسكي إلى خاصية يتميز بها الفرد وهي ما يعرف بالإبداعية، وتمثل قدرة الفرد على توليد عدد لا متناه من الجمل انطلاقا من عدد محدود من الأصوات والألفاظ شرط أن تكون "خاضعة للسلامة النحوية والاستحسان"[10] بتطبيق القواعد الافتراضية والمعيارية للغة على التركيب، وتوافقها مع مدلولاتها من حيث المعنى المقصود عند الاستعمال، وفي هذا إشارة إلى قدرة المتكلم على بلورة استراتيجية ذهنية لغوية في واقعه التخاطبي، من خلال الانتقاء الإرادي لمكوّنات اللغة عبر مستوياتها ككل، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

2-2- أ- المستوى الصوتي: حدّ اللغة " أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم "[11]، وهذه الأصوات في مجموعها تشكّل أبجدية (أو ألفبائية) كل لغة، لكن الأمر المقصود هنا هو ما يميّز كل صوت عن الآخر عند الاستعمال، لا بمعزل عن تجاوره مع بقية الأصوات المؤلفة للكلمة. وقد أشار ابن جني إلى ظاهرة صوتية إلا أنها تختص باللغة العربية، وهي ملاءمة الصوت المستعمل في اللفظ لطبيعة المعنى المقصود، أي أن الصوت يحمل دلالة إيحائية مناسبة للمعنى. كما أكّد أن في " تقديم ما يضاهي أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سَوقًا للحروف على سَمْتِ المعنى المقصود، والغرض المطلوب"[12]، وقد أفاض ابن جني في التمثيل لهذه الظاهرة اللغوية المتعلقة بتناسب الأصوات لمعانيها، وسنذكر مثالا مما ساقه ابن جني لهذه الظاهرة، والغاية من ذلك إبراز ما لدلالة الصوت وإيحائه في بناء الاستراتيجية الخطابية، يقول ابن جني " ازدحام الدّال، والتّاء، والطّاء، والرّاء، واللاّم، والنّون، إذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوَهَنِ والضعف ونحوهما "[13]، ومن ذلك الشيء التَّالِفُ والشيخ الدَّالِفُ بمعنى الضعيف، والدَّنِفُ الشخص المريض، والفتور بمعنى الضعف.

2-2- ب- المستوى الصرفي: يتمثل في مجموع الإمكانات التي توفرها اللغة من حيث الصيغ الصرفية وأبنية الكلمات وما تحمله من دلالات ومعاني إضافية، فكل صيغة صرفية تمثل قالبا معينا له دلالة محددة عند الاستعمال، وبتغيير صيغة صرفية بأخرى يتغيّر المعنى والمقصد الذي ينزع إليه المتكلم.

ففي اللغة العربية مثلا ظاهرتان " ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحبيه، وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه "[14]، وبالتالي تصبح هذه القوالب بمثابة إمكانات متاحة للمتكلم كي يعبّر عن مقصوده بكل دقة، فيختار الأنسب والملائم منها تبعا لمقصوده ولأحوال السياق. إن اللغة العربية توفر جذرا لغويا انطلاقا من اختيار مادة صوتية بعينها لينتظم بعد ذلك هذا الجذر اللغوي في بنية صرفية مضبوطة لها دلالة معينة، تساعد على إيصال مقاصد المتكلم حين الاستعمال، من ذلك مثلا الصيغ (فَعَلَ) و (اِنْفَعَلَ) و (تَفَاعَلَ) فهي تعدّ أفعالا تدلّ على الحدث المرتبط بالزمن، إلا أن (فَعَلَ) تدلّ على الحدث في إطاره العام، أما (اِنْفَعَلَ) فتدلّ على أن الحدث داخلي وذاتي، وأما (تَفَاعَلَ) فتدلّ على اشتراك بين فاعلين أو أكثر في الحدث. وهذه الفروق الجزئية بين الصيغ الصرفية السابقة من شأنها أن تحمل مقاصد المتكلم أثناء بناء استراتيجيته الخطابية.

2-2-ج- المستوى المعجمي: يتعلق الأمر في هذا المستوى بما يوفّره المعجم من ألفاظ ومعاني، يعمد المتكلم إلى اختيارها وانتقائها، سواء ما ارتبط منها بمعنى معجمي عام، أو ما اختلف منها في معاني جزئية خاصة، لأن هذه الألفاظ تنتظم في تراتبية دلالية داخل إطار معنى عام يجمعها، على نحو ظاهرة الترادف في اللغة العربية. فالترادف هو " الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد "[15]، وهو " يتيح لأفراد الجماعة اللغوية الواحدة استخدام ألفاظ المجال الدلالي كمترادفات يحلّ بعضها مكان بعض "[16]، وإمكانية التعويض هذه من شأنها أن تمكّن المتكلم من اختيار وانتقاء الألفاظ الملائمة للتعبير المقصود والهدف المرغوب فيه أثناء الخطاب، فهو يستحضر ذهنيا مجموعة من الألفاظ الدّالة على معنى واحد، ولكن عند الاستعمال التخاطبي يفرض واحدا منها دون البقية قياسا بمقتضيات الخطاب والسياق المحيط.

2-2- د- المستوى التركيبي: يرتبط هذا المستوى " بدراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية "[17]. فالجملة تتكوّن من وحدات لغوية ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية، تسهم في بناء تركيبة الخطاب، ويعدّ المستوى التركيبي" من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز استراتيجية الخطاب تداوليا"[18]، لأن معرفة تركيب الجملة انطلاقا من تحديد أجزائها يضمن للمتكلم القدرة على تنظيم هذه الأجزاء، فغالبا ما يتغيّر مقصود المتكلم تبعا لتغيّر أجزاء جمل الكلام، علما أن هذا التغيّر لا يرتبط بقواعد اللغة ذاتها، وإنما يتعلق بمراتب الأجزاء المؤلفة للجملة في حدّ ذاتها. فتقديم جزء أو تأخيره عما يجاوره كفيل بتغيير المعنى أو إضافة معاني جزئية، ولهذا يسعى المتكلم أثناء بناء استراتيجية خطابه إلى التحكم بهذه الآلية التركيبية، ليُحَمِّلها مقاصده وأهدافه، وقد يتدخل السياق المحيط أحيانا في ترتيب أجزاء ومكونات جمل الخطاب.

2-2- هـ- مستوى التنغيم: يقصد بالتنغيم " ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلوّنه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل الاستفهام والطلب والأمر والغضب والرضا والفرح والدهشة والتعجب .. "[19]، ولهذا يسعى المتكلم أثناء خطابه إلى استعمال هذه الآلية بالتركيز على جزء من الجملة، أو على جملة من بين جمل مجاورة لها، لإبراز مقصوده أو شدّ انتباه المتلقي إلى ما يرمي إليه، أو التفريق بين معلومة سابقة وأخرى لاحقة في الخطاب, " فينقل دلالة الملفوظ مثلا من الخبر إلى الاستفهام, أو إلى التعجب, دون التعويل على دلالة الخطاب التركيبية, مما يبيّن دور التنغيم عند إنتاج الخطاب, واختيار استراتيجيته "[20], فما يستفاد من التنغيم أثناء الخطاب مرتبط بمراعاة المتكلم للمعاني التي يقصدها وللسياق المحيط. ولذا غالبا ما نجد أن سياق الفرح والسرور لا يستوي في رفع الصوت أو خفضه مع سياق الحزن والأسى, وما كان دالا على العنف والغضب أرفع صوتا مما يدل على العطف والمودة والرحمة.

2-3- السياق غير اللغوي: يتطلب الخطاب من المتكلم استثمار العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا للسياق الذي يتطلب ذلك, فالخطاب قد يكون "تكوينا من الملفوظ وغير

الملفوظ في آن, أو من أحدهما لوحده, كل ذلك حسب السياق الذي يجري فيه "[21], ويمثل السياق غير اللغوي مجموعة الظروف والملابسات التي يتم فيها التواصل بين طرفي الخطاب, فهو "جملة العناصر المكوِّنة للموقف الكلامي, ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع – إن وجدوا - وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي, والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي "[22]. كما تشمل هذه العناصر حركات وإيماءات المتكلم المصاحبة للتنغيم في مقاطع محددة أثناء الخطاب, ويضاف لها أيضا بعض العلامات السيميائية المستقلة عن اللغة الطبيعية مثل الألوان والصور. كل هذا التنوّع غير اللغوي يدخل في بناء استراتيجية الخطاب لدى المتكلم, لأن هذه العناصر تسهم في إبراز مقاصده لدى المتلقي.

2-4- القصد: يتحدد قصد المتكلم من خلال عناصر السياق اللغوي وغير اللغوي المصاحب للخطاب, فهو "ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسل, بدلا من التقيّد بالمعنى اللغوي البحت, رغم أنه قد يتطابق معه في بعض السياقات "[23] التواصلية, لأن الخطاب لا يتجسّد طبقا للاستعمال الحرفي للغة, وإنما ينبني وفق مقاصد المتكلم, حين يربط الشكل اللغوي للخطاب بمقتضيات السياق التواصلي, وتعددّ هذا السياق من شأنه أن ينوّع مجالات الخطاب, على الرغم من أن قيمته اللغوية قد تكون واحدة.

إن مفهوم القصد والمقصدية من المفاهيم التي اهتم بها الفقهاء والفلاسفة والمتكلمون وعلماء البلاغة, فالمعتزلة مثلا يرون أنه لما كانت المعاني سابقة الألفاظ والعبارات, فإن دلالة هذه على تلك تتوقف على المواضعة وقصد المتكلم, والكلام قد يحصل بغير قصد فلا يدل, ومع القصد فيدل ويفيد[24]. والمقصود بالمواضعة معرفة المتكلم " العلاقة بين الدوال والمدلولات, وكذلك معرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها, وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تَنَظَّمَ إنتاج الخطاب بها "[25] حتى يوصل محتواه للمتلقي ليفهمه. ولا يتوقف الأمر عند حدّ المواضعة ومعرفة العلاقة بين الدال والمدلول, بل يتعداها إلى استعمالها أثناء التخاطب, لأنه " بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به, واستعماله فيما قررته

المواضعة, ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها, لأن فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن نأمر قصدناها, وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور, وتؤثر في كونه أمرا له, فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكين وتقويم الآلات, والقصد يجري مجرى استعمال الآلات "[26].

ويمكن القول إن اللغة الطبيعية بوصفها دوالَّ ومدلولات في مقابل الوضع والاستعمال، تحتاج إلى تحديد مقصد المتكلم الذي يراعي قواعد هذا الوضع والاستعمال في خطابه, ليبني على منوالها استراتيجيته الخطابية ويحقق صحة الفهم والتأويل لدى المتلقي.

2-5- سلطة الخطاب: تعنى السلطة في مفهومها العام السيطرة بالقوة لطرف على آخر في شتى مجالات الحياة, إذ " تستلزم آمرا ومأمورا وأمرا؛ آمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور, ومأمور عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجّه إليه[27] ", وتصبح هذه القوة الآمرة مصدرا لبناء العلاقة بين الطرفين, وقد لا تكون هذه العلاقة متكافئة بينهما إذا قُصِدَ تحقيق الأمر, فهو في الغالب ممن هو أعلى مرتبة إلى من هو أدناها.

إلا أن المفهوم العام للسلطة لا يمكن تجسيده في الخطاب, لأنه يقوم على أساس اللغة الطبيعية المستعملة في التواصل، لا على أساس القوة المادية بين الطرفين, فالسلطة في الخطاب مردّها أساسا إلى اللغة المجسِّدة له واقعا, دون إغفال العلاقة بين طرفي الخطاب والسياق المحيط, " وانعدام هذه السلطة سوف يؤدي بخطاب المرسل إلى فشله, فلا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال خطابه "[28]؛ أي أن أداء الكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرا عن شخص يملك سلطة الكلام. وتتدخل السلطة في اختيار الاستراتيجية الملائمة للخطاب سواء أكانت موجودة أم منعدمة فيه, ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى الكفاءة التداولية للمتكلم الذي يراعي السياق المحيط به, بما في ذلك مكانته الاجتماعية ووظيفته المهنية, والهيئة التي يمثلها, والمكان الذي يتواجد به, لتأتي كفاءته التداولية منتجة ومجسّدة لسلطته في الخطاب, وفق المقتضيات السابقة التي تعدّ في حقيقة الأمر مصادرا لهذه السلطة وهي:

2-5- أ - سلطة اللغة المستعملة في الخطاب: تتمثل سلطة اللغة في جملة القواعد المنظّمة لها, ولا يستطيع المتكلم الخروج عنها عند التواصل, بل يتقيّد بأنظمتها الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركيبة, لأنها موجودة بالقوة فيها, وعلى الفرد " أن يستجيب في النهاية للغة وقوانينها وسلطتها "[29]، واستجابته لسلطة اللغة هي سلطة له أثناء استعمالها في الخطاب، وبالتالي يكتسب المتكلم سلطته اللغوية من سلطة اللغة ذاتها, فتصبح جزءا من ملكته اللغوية التي يفرضها في الخطاب.

2-5- ب - سلطة المتكلم أثناء الخطاب: إن سلطة اللغة التي تفرض قواعدها وأنظمتها على المتكلم من شأنها أن تمدّه بسلطة ذاتية تتحقق عند استعماله للغة, من خلال مجموع الإمكانات المتاحة من " تغيّرات في المستوى الصوتي أو في المستوى التركيبي أو في التبادلات والعلاقات المعجمية, وبعمله هذا فإنه يعتدّ أيضا بمعرفة المرسل إليه بهذه التغيّرات ويستثمرها، فلا يمكن أن يتلفظ المرسل إلا بخطاب مفهوم "[30].

إن هذه السلطة المكتسبة لدى المتكلم من خلال اللغة كفيلة بأن تكسبه قدرة التأثير في المتلقي, باستثماره للإمكانات المتاحة في اللغة, فتتجسّد في كفاءته التواصلية " ليؤثر في سلوك الآخرين, أو ليُنَصِّبَ من نفسه الإنسان المرجع في مجتمعه, أو ليُعْلِيَ من قدره ومرتبته"[31].

2-5- ج - سلطة المتلقي أثناء الخطاب: في كثير من الأحيان تتدخل طبيعة المتلقي في بناء استراتيجية الخطاب لدى المتكلم, ذلك أن المتلقي يفرض نفسه في سياقات تواصلية بما يمتلكه من ردود أفعال تجاه مضمون الخطاب, أو بما يملكه من صفات ومؤهلات, أو من خلال مكانته الاجتماعية قياسا بمكانة المتكلم؛ فقد يكون المتلقي في نفس مرتبة المتكلم, وقد يكون أدنى أو أعلى منه مرتبة, مما يستدعي من المتكلم استحضار هذه المقتضيات عند تحديد وبناء استراتيجيته الخطابية.

2-5- د - سلطة المجتمع: يفرض المجتمع قيودا على المتخاطبين, بما يمليه من أعراف وتقاليد اجتماعية ولغوية, " وتمتدّ سلطة المجتمع إلى أبعد من ذلك, حيث يفرض ما هو مناسب من

الموضوعات والاختيارات على المرسل, فلا يستطيع أن يقول كل شيء, أو أن يتحدث في أيّ موضوع "[32] في أيّ زمان أو مكان, لأن طبيعة المجتمع تتدخّل في تنظيم الموضوعات تبعا لزمانها ومكانها وألفاظ اللغة المستعملة فيها, فيخضع إنتاج الخطاب لسلطة المجتمع من هذه الزاوية, وهو ما ينعكس على بناء استراتيجية المتكلم أثناء الخطاب.

2-6-الإشاريات: يعتمد الخطاب على لغة طبيعية تحوي الكثير من الأدوات اللغوية التي تكون مدلولاتها مبهمة، لأن "بعضا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت, فلا يتّضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين "[33] يشترك فيه طرفاه لتحديده , ومن هذه الأدوات أسماء الإشارة والضمائر والأسماء الدّالة على الزمان, فهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدّد ما تحيل إليه إلا عندما تقترن بموقف تواصلي " لأنها خالية من أيّ معنى في ذاتها, فبالرغم من ارتباطها بمرجع, إلا أنه غير ثابت "[34], ولتحديد مدلولها غالبا ما يستعين المتكلم بالحركات أو الإشارات اليدوية والجسمية لإبراز محتواها الدلالي.

إن البنية العميقة للخطاب الملفوظ ترتبط بذات المتكلم, ومكان وزمان التلفظ, وهي ما يمثل (الأنا,الهنا,الآن), فتكون الإشاريات " تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[35]. ولا يمكن أن تتمّ عملية التخاطب بين المتكلم والمتلقي دون وجود هذه الإشاريات:

أ-الإشاريات الشخصية (الأنا): تمثل الإشاريات الدّالة على المتكلم أو المتلقي الحاضر أو الغائب لحظة الخطاب.

ب- الإشاريات المكانية (الهنا): تمثل مرجعية تحديد المواقع والأماكن أثناء الخطاب.

ج-الإشاريات الزمانية (الآن): تمثل لحظة التلفظ بالخطاب، وهي لحظة مرجعية بالنسبة للمتلقي لفهم وتأويل مقاصد المتكلم أثناء التواصل.

إن اعتماد المتكلم على هذه الإشاريات كفيل بتحديد مقاصده وأهدافه أثناء التواصل, وهذا ما يسهم في شدّ انتباه المتلقي إلى جزئيات الخطاب وربط بعضها ببعض باعتماد هذه الإشاريات في بناء الاستراتيجية الخطابية وكشف معالمها.

خلاصة:

من خلال هذا البحث والتقصي في العناصر البنائية للاستراتيجية الخطابية يتضح ذلك التداخل والتشابك والتضافر بين هذه العناصر، لأنها في نهاية المطاف تحيل إلى منظومة مفاهيمية تتعلّق بآليات تحليل الخطاب، كما تبرز جانبا تداوليا يحدد جنس الخطاب، انطلاقا من عملية تقصّ وتتبّع لكل مراحل إنتاجه. سواء ما تعلّق بالمتكلم أو ما تعلّق بالمتلقي، أو مما يفرزه السياق اللغوي، أو ما يفرضه السياق غير اللغوي في هذا الصدد.

الهوامش والمراجع

1- عبد الرحمان العبدان و راشد الدويش، "استراتيجيات تعلّم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية"، مجلة جامعة أم القرى (اللغة العربية وآدابها)، السعودية، 1997، السنة10، عدد16، ص324.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2004، ص55.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص56.

4- دومنيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2008، ص15.

5- المرجع نفسه، ص15.

6- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص57.

7- نقلا عن : المرجع نفسه، ص57.

8- دومنيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص15.

9- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1998،ص04.

10- سليم بابا عمر و باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، أنوار، الجزائر، 1990، ص54.

11- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1952، ج01، ص64.

12- المرجع نفسه، ج02، ص162.

13- المرجع نفسه، ص166.

14- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط08، 1980، ص328.

15- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986، ج01، ص403.

16- محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص188.

17- المرجع نفسه، ص106.

18- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص71.

19- محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص133.

20- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص72.

21- المرجع نفسه، ص73.

22- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992، ص338.

23- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص78.

24- نقلا عن : إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه،ص356، هامش رقم03.

25- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص183.

26- ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، تحقيق على فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1994، ص3.

27- ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص7.

28- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص233.

29- سامي أدهم، فلسفة اللغة (تفكيك العقل اللغوي - بحث ابستمولوجي وانطولوجي)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1993، ص153.

30- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص226.

31- Julie Diamond, Status and Power in Verbal Interaction, John Benjamin's Company, U.S.A, 1996, P144.

32- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص231.

33- المرجع نفسه ، ص79.

34- المرجع نفسه، ص80.

35- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار طوبقال للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1990، ص106.